أبناء السودانيين العاملين بدولة الإمارات العربية المتحدة بين الارتباط بالسودان والاندماج في مجتمع الإمارات (دراسة استطلاعية)

موسى شلال*
عبدالله حامد**

ملخص: تلقي هذه الدراسة البينية (بين علم الاجتماع وعلم النفس) الضوء على جيل السودانيين، الذي ولد وترعرع في بلاد المهجر بعيداً عن وطنه الأم السودان. وتركز على قضية الهوية لدى أبناء هذا الجيل، وقوة الارتباط بوطنهم ومعرفة قضاياهم، ومدى قدرتهم على التوافق مع المجتمع الذي وجدوا فيه. وقد استخدمت الدراسة استبانة صممت خصيصاً لهذا الغرض، ووزعت على عينة مكونة من 84 من الشباب السوداني بدولة الإمارات العربية المتحدة، راوحت أعمارهم بين 15 و 30 سنة، وكانت نسبة الإناث 30% و الذكور 70%. وقد خلصت إلى أن معظم أبناء هذا الجيل (ممثلاً في أفراد العينة) يفتخرون بانتمائهم للسودان ويعتبرونه مهماً في حياتهم، غير أنهم يشعرون بقلق كبير جداً على مستقبل السودان السياسي؛ وذلك لإيمانهم بعدم قدرة الأحزاب السودانية الموجودة اليوم على حل مشكلات البلاد السياسية. ويوصي الباحثان بمزيد من البحث لاستقصاء آراء هذا الجيل وتعرف ما يعانيه من مشكلات نفسية واجتماعية وثقافية.

المصطلحات الأساسية: الجيل الثاني، الهجرة، الشعور بالانتماء، الغربة، الهوية، المواطنة.

* قسم علم الاجتماع، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات العربية المتحدة.
** قسم علم النفس، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات العربية المتحدة.

المقدمة:

تعرف الهجرة بأنها تلك الحالة التي ينتقل فيها الأفراد والجماعات من بلادهم الأصلية، ويسكنون في بلاد أخرى. وتعد الهجرة من أقدم الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية؛ إذ يرجع تاريخها إلى مئات الآلاف من السنين*، ويرى بعض الكتاب أن هجرة المواطنين العرب من البلدان العربية إلى الأمريكتين قد بدأت في القرن الثامن عشر، واتسعت أكثر في القرن التاسع عشر؛ وذلك بسبب البطش العثماني وقسر الشبان على الانخراط في جيش الإمبراطورية العثمانية (سالم جبران، 2006). ويؤكد التاريخ أن هذه الظاهرة تزداد حدة وتقل في فترات متقطعة من الزمان بحسب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتسبب في ظهورها. وقد قدرت منظمة الأمم المتحدة عدد المهاجرين في العالم بمائة وتسعين (190) مليون نسمة في عام 2005، ويمثل هذا العدد نحو 3% من سكان العالم، في حين أن 97% من سكان العالم لا يزالون في بلدانهم التي ولدوا فيها. وتدل هذه الأرقام على أن ظاهرة الهجرة، على الرغم من الأعداد الكبيرة، قليلة نسبياً مقارنة بسكان العالم أجمع.

وتعتبر منطقة الخليج العربي نسبياً أعلى المناطق التي يذهب إليها المهاجرون في العالم، إذ يقدر عددهم في دولة الإمارات العربية المتحدة بنحو 90% من السكان، ونحو 86% في قطر، ونحو 82% في الكويت، و64% في عمان. وتوجد دولة واحدة في أوروبا يقارب فيها عدد المهاجرين هذه النسبة وهي دولة "لكسمبورج"؛ حيث يقدر عدد المهاجرين فيها بنحو 45%(United Nations, 2006). وقد شهدت منطقة الخليج العربي في فترة السبعينيات من القرن العشرين مولد ظاهرة هجرة العاملين العرب وذويهم إليها بأعداد كبيرة في مختلف المجالات. وتؤكد جريدة "الوطن" في عددها الصادر يوم 20 ديسمبر عام 2006، وعلى لسان وزير العمل والشؤون الاجتماعية البحريني أن أعداد الوافدين إلى دول مجلس التعاون الخليجي تزيد بمعدل 5% في كل عام، وأن مجموع أعداد الوافدين في الدول الخليجية قد بلغ 12 مليون وافد في عام 2004. من ناحية أخرى يعد المهاجرون من الشرق الأوسط من أكثر المجموعات تزايداً بالولايات المتحدة الأمريكية، (Camarota, 2002)؛ فقد زاد عددهم نحو سبعة أضعاف: من مائتي ألف عام 1970 إلى 1,500,000 في عام 2000.

وتشير أدبيات الهجرة والمهاجرين إلى وجود عديد من الأسباب التي تفسر إقبال الناس على الهجرة. وقد قسمت هذه الأسباب تحت عاملين أساسيين، الأول

* http://en.wikipedia.org/wiki/Migrant

طارد والثاني جاذب. فالدول التي يهاجر منها مواطنوها تعد دولاً طاردة وتلك التي يهاجرون إليها تعد جاذبة. وتعددت دوافع الهجرة، وكان من أهمها البحث عن أماكن جديدة للعمل والاستقرار، أو لأسباب تجارية، أو للتعلم، أو لاستعمار دول أخرى، كما تشير الأدبيات اليوم إلى ظاهرة اللجوء السياسي بوصفه عاملاً آخر للهجرة الذي تفرضه الأوضاع السياسية المضطربة في بعض الأقطار من حروب وتسلط أنظمة وخلافه. ويؤكد كثير من الباحثين أن الدوافع الاقتصادية هي الأقوى من بين العوامل الأخرى المسببة للهجرة (اجتماعية وسياسية وغيرها)؛ إذ يعد الفقر من أقوى العوامل الاقتصادية التي تدفع بالأفراد للخروج من بلدانهم بحثاً عن أوضاع أفضل، وتعد الكوارث الطبيعية أيضاً من العوامل الطاردة التي تتسبب في هجرة الأفراد.

لكن الهجرة ليست فقط من الدول ذات الاقتصاد الضعيف إلى الدول ذات الاقتصاد القوي؛ فقد أفادت تقارير الأمم المتحدة أن ثلث المهاجرين، على مستوى العالم، يهاجرون من دول نامية إلى أخرى نامية. وتعتبر الولايات المتحدة أكثر الدول جذباً للمهاجرين من حيث العدد، إذ يبلغ عددهم نحو 39 مليون مهاجر (UN, 2006). وقد تناولت أدبيات التنمية ظاهرة الهجرة لدول النفط العربية منذ فترة من الزمان. وتركزت مجمل الكتابات على أوضاع الدول الجاذبة والدول الطاردة، والمشكلات الناجمة عن هذه الظاهرة. ولكن لا يوجد كثير من الدراسات عن المهاجر نفسه وعائلته التي هاجرت معه أو تلك التي خلفها في بلده. وقد بدأت بعض الدراسات الجادة عن المهاجرين في السبعينيات، واعتمدت جل هذه الدراسات على أعداد المهاجرين وخصائصهم من الدول العربية المجاورة لدول النفط العربية (Seccombe, 1985). إلا أنه يمكن تحليل الآثار الناجمة عن الهجرة في عدة محاور؛ **المحور الأول** المهاجر نفسه، و**المحور الثاني** أسرة المهاجر، **والمحور الثالث** الدولة التي يهاجر منها، **والمحور الرابع** الدولة المستضيفة.

يشمل **المحور الأول** حالة المهاجر نفسه في البلاد التي هاجر إليها. ومن ثم، فإنه يعني كيف أثرت الهجرة وتبعاتها من تغيرات على حالة المهاجر النفسية والبدنية والاجتماعية. ويرى بعض علماء النفس أن تأثير التغيرات على الفرد المهاجر تعتمد، في الأساس، على مدى أهمية هذا التغير بالنسبة لذلك الفرد (Fisher, 1990). ويرى آخرون أن الهجرة إلى دول أخرى غير دولة المهاجر قد تزيد من الضغوط النفسية، وربما يتعرض المهاجر إلى الإصابة ببعض الأمراض العقلية والجسدية (Fisher, 1989). وقد أشارت بعض البحوث الإمبريقية في الولايات

المتحدة إلى أن المهاجرين يرتادون المستشفيات بنسبة أعلى من نسبة المواطنين المحليين، خاصة الذين يشكون من الأمراض العقلية (Cochrance, 1983). ويفسر بعض العلماء تدني الحالة النفسية لدى المهاجرين بسبب تركهم لأسرهم وذويهم وأصدقائهم والبيئة التي ولدوا وترعرعوا فيها. ومن ثم فإنهم يفقدون كثيراً من مظاهر الحياة الاجتماعية والدعم الاجتماعي الذي كانوا يتمتعون به عندما كانوا في أوطانهم وبين أهلهم.

ويلخص محور حالة المهاجر هذا خمس نظريات أتت بها عالمة النفس "شيرلي فيشر" (Fisher, 1989) لتفسير أثر الهجرة على المهاجر. تنظر النظرية الأولى إلى أثر الانتقال على أنه مشابه للفقدان حيث يعاني الشخص الذي يغادر وطنه شعوراً بفقدان الأهل والأصدقاء وأفراد المجتمع الآخرين. ويوازي ذلك قلق الانفصال الذي ينظر للحنين إلى الوطن بأنه توتر ناشئ نتيجة الانقطاع عن الأسرة والوطن عامة. وتقول النظرية الثانية إن الهجرة تولد شعوراً بالعزلة واضطراباً في أسلوب الحياة الذي اعتاد عليه الفرد؛ مما يولد إحساساً بالحنين إلى الوطن واضطرابات نفسية مختلفة. وتعتقد النظرية الثالثة أن الهجرة تتسبب في فقدان المهاجر القدرة على السيطرة والتحكم على البيئة الجديدة التي ينتقل إليها؛ مما يجعله عرضة للمرض والقلق النفسي نتيجة للتحكم الضعيف على البيئة الجديدة. أما النظرية الرابعة فتتناول فقدان المهاجر للأدوار التي كان يقوم بها في بلاده وفقدان الوعي بالذات، مما يضطره إلى القيام بأدوار جديدة تتطلب منه بعض التوافق والتعديلات في صورة الذات لديه؛ كي تتلاءم مع هذه الأدوار الجديدة. ويؤدي ذلك إلى إحداث حالة من القلق تقل معها الطاقة الحيوية اللازمة لاستمرار الحياة اليومية. وتفترض النظرية الخامسة أن المهاجر يكون في حالة صراع مع نفسه نتيجة الجهد الذي يبذله لكي يحسن من وضعه المالي والاجتماعي والتعليمي. وقد يؤدي هذا الصراع إلى اضطرابات نفسية قد تزيد من معاناة المهاجر.

ويدور **المحور الثاني** حول آثار الهجرة على أسرة المهاجر، ويرى أنه يوجد نوعان من المهاجرين: المهاجر الذي يهاجر بنفسه دون أسرته، والمهاجر الذي يصطحب معه أسرته إلى بلاد المهجر. يواجه المهاجر الذي يصطحب أسرته معه بمشكلات مركبة؛ فعليه أن يجد حلولاً ليس لمشكلاته الشخصية فقط، بل عليه أن يتعامل أيضاً مع مشكلات زوجته وأطفاله الذين اقتلعوا من بيئتهم الاجتماعية. كما

يواجه المهاجر الذي تطول فترة هجرته ضرورة وجود حلول لمشكلات الأطفال الذين يولدون في ديار المهجر. وتتمثل مشكلات هؤلاء الأطفال (الجيل الثاني من المهاجرين) في قضايا التنشئة الاجتماعية أولاً ثم مشكلات التعليم، ثم ربط هذا الجيل بثقافة الوطن الأم. وقد لا ينتبه كثير من المهاجرين إلى قضايا التنشئة الاجتماعية التي قد تسبب مشكلات لأسر المهاجرين. وبما أن هذا الجيل الثاني قد ولد أو نشأ وترعرع في بلاد المهجر فإنه يتأثر كثيراً بثقافة ذلك البلد مهما كانت منسجمة أو مختلفة عن ثقافة الوطن الأم. يشكو المهاجرون في أمريكا الشمالية وأوروبا مشكلات أولادهم وبناتهم في تلك البلاد التي ولدوا أو تربوا فيها، ويفضل كثير منهم العودة إلى أوطانهم حفاظاً على ثقافة أبنائهم وبناتهم وخوفاً عليهم من الضياع. إلا أن المهاجرين العرب الذين يقيمون في البلاد العربية والإسلامية قد لا يواجهون مشكلات بحدة مشكلات أولئك الذين هاجروا إلى الدول الغربية؛ وذلك لتقارب الثقافات والعادات في كثير من جوانبها.

ويوجد النوع الآخر من المهاجرين وهم غير المتزوجين أو المتزوجين الذين تركوا أسرهم في ديارهم ورحلوا من دونهم. ويعتقد أن أكثر الشرائح الاجتماعية طموحاً وأكثرها مغامرة هي شريحة الشباب؛ فقد جذبت منطقة الخليج كماً هائلاً من الشباب إليها. ولما كان السبب الاقتصادي هو الغالب في معظم الأحيان، فإننا نجد أن المهاجرين يتركون زوجاتهم وأطفالهم في بلادهم لتخفيف الأعباء المادية حتى يستطيع المهاجر أن يجمع القدر الأكبر من المال لتحقيق آمال الأسرة، ولذلك قبلت الزوجات بالتضحية والمكوث في بلادهن دون أزواجهن. ومما لا شك فيه أن تربية الأبناء في غياب الآباء تعد من أصعب الأمور للزوجات وأكثرها تحدياً خصوصاً في المجتمعات التي يطغى فيها دور الرجل. إضافة إلى ذلك نجد أن هؤلاء النسوة يعانين ضغوطاً نفسية واجتماعية بسبب فقدان الزوج لفترات طويلة.

وهناك قليل من الدراسات التي تصدت لهذه الظاهرة؛ حيث تدل أدبيات التنمية أن من أوائل الدراسات التي عنيت بأسر المهاجرين وزوجاتهم دراسة عزام والشايب في عام 1980. تناولت الدراسة حالة 150 زوجة لبنانية لم يهاجرن مع أزواجهن، وقد عكست الدراسة معاناة تلك النسوة في إدارة أسرهن مع غياب الشريك (الزوج).

وأشار كثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية إلى أهمية وجود الأب في المنزل ودوره في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال. وقد أكدت نتائج بعض

الدراسات (Golombok, 2004) أنه كلما كان الأب فاعلاً في تربية أبنائه، كان نمو الأطفال الاجتماعي والعاطفي أفضل، ومما يعزز أهمية دور الأب الطبيعة الذكورية في المجتمعات العربية.

ويدور **المحور الثالث** حول الدولة الطاردة التي يهاجر منها الأفراد؛ فقد أدت الهجرة الخارجية الكثيفة جداً إلى تفريغ الدول المصدرة لهذه العمالة من أصحاب المهن العلمية والفنية لدرجة عجزت معها حكومات تلك الدول تقدير أعداد هذه الهجرة، حيث إنها لا تحتفظ بسجل يبين أعداد المهاجرين وتخصصاتهم. وقد شجعت دول كثيرة هذه الهجرات وعملت على تنظيمها بواسطة القوانين والتشريعات لأسباب كثيرة ومهمة، أهمها العامل الاقتصادي. فقد فاقت تحويلات المصريين، مثلاً، قيمة دخل مصر من السياحة ومن قناة السويس ومن صادرات النفط (نادر فرجاني، 1983). وأصبحت هذه التحويلات المصدر الأول لمقابلة احتياجات مصر من النقد الأجنبي والواردات. إلا أن بعض الدراسات تشير إلى أن هذه الهجرة الكثيفة الواسعة من دولة اليمن إلى دول النفط، مثلاً، قد عاقت تطوير القوى البشرية اليمنية، وأدت إلى ارتفاع في الأجور لنقص العمالة والمهارات المطلوبة في اليمن (نادر فرجاني، 1983).

أما **المحور الرابع** فيعرض لآثار الهجرة على الدولة المستضيفة. تقول الإحصاءات في دولة الإمارات العربية المتحدة: إن السكان المواطنين قد انخفضت نسبتهم من 64% في عام 1968 إلى 22% في عام 2001، في حين ارتفعت نسبة الوافدين من 36% في عام 1968 إلى 78% في عام 2001 لإجمالي السكان (جامعة الإمارات، 2004). وتشير هذه الأرقام إلى أن الوافدين في دولة الإمارات أصبحوا الأغلبية، في حين أصبح المواطنون هم الأقلية. وقد يسبب هذا الوضع غير المتناسق خللاً كبيراً في التركيبة السكانية للدولة. كما تسببت أعداد الوافدين الهائلة في دولة الإمارات في خلق عدم توازن بين الذكور والإناث. حيث ارتفع عدد الذكور إلى 225 ذكر لكل مائة أنثى عام 1975، إلا أن هذه النسبة الذكورية قد تناقصت إلى 209 ذكور لكل مائة أنثى في عام 2001. والمعروف أن دولة الإمارات في بداية نهضتها التنموية في السبعينيات كانت في حاجة إلى عمالة شابة ذكورية لتحمل أعباء التنمية الكبيرة. فقد جاءت أفواج هائلة من الشباب الذكور غير المتزوجين للعمل لسد فجوة العمالة المؤهلة والمدربة التي تفقدها البلاد.

ومن آثار الهجرة على الدولة المضيفة زيادة نسبة البطالة بين المواطنين. فقد تسببت نسبة الوافدين الكبيرة في دولة الإمارات، مثلاً، في الضغط على فرص عمل المواطنين؛ مما أدى إلى زيادة حجم البطالة في أوساط المواطنين وذلك لحدة المنافسة على الوظائف. فقد بلغت نسبة غير المواطنين من إجمالي قوة العمل 2001 نحو 91%، في حين بلغت نسبة المواطنين من إجمالي قوة العمل نحو 9% فقط (جامعة الإمارات، 2004). كما أسهمت الهجرة الوافدة في عدد آخر من الدول الخليجية – بالإضافة إلى دولة الإمارات – في خلق اختلال في هيكل العمالة والتركيبة السكانية والتركيب العمري والنوعي.

نخلص من هذه المقدمة إلى أن ظاهرة الهجرة من الظواهر الاجتماعية الإنسانية القديمة التي مازالت رائجة حتى يومنا هذا. وترتبط هذه الظاهرة بمشكلات عديدة؛ منها الاجتماعية والنفسية والعقلية والجسدية وغيرها، وهي تؤثر بشكل مباشر على المهاجر وأسرته على حد سواء. ويمكن ملاحظة ذلك في مشكلات تنشئة الأبناء وتكوين شخصياتهم. علاوة على ذلك فإن الهجرة قد تؤثر على علاقة المهاجر بوطنه الأم وانتمائه لمجتمعه الأصلي.

ظاهرة هجرة السودانيين إلى الخارج:

صار السودان بلداً طارداً اقتصادياً وسياسياً في العقود الأربعة الأخيرة من القرن الماضي. وقد بدأت الهجرة الخارجية من السودان منذ بداية عقد السبعينيات بصورة أكثر كثافة من العهود السابقة. إذ شهدت فترة السبعينيات كثيراً من التقلبات السياسية والانقلابات والانفلاتات الأمنية، بالإضافة إلى نقص حاد في المواد التموينية. ولم يشهد تاريخ السودان القريب أو البعيد هذا النوع من الهجرة الخارجية، فقد عرف أهل السودان دوماً بالترابط والتكافل الاجتماعي والقناعة بما لديهم. بالإضافة إلى أن الغالبية الساحقة من المواطنين لا يزالون مزارعين ورعاة يعيشون على عطاء الطبيعة غير المحدود في هذين المجالين.

وقد بدأت الهجرة الخارجية في فترة السبعينيات من القرن الماضي أولاً من فئة المدرسين والعسكريين والممرضين والمحاسبين والكتبة وبقية العمال المهرة في مختلف التخصصات؛ وذلك لحاجة بلدان دول الخليج لهذه التخصصات في تلك الفترة، وكان أغلبيتهم يشكلون شريحة كبيرة من الطبقة الوسطى من السودانيين. وكانت هذه الشريحة أكثر شرائح المجتمع السوداني تضرراً نتيجة لهذه الهجرة، إلا

أن تطور سوء الأحوال السياسية وتفاقم مشكلة الجنوب والوضع الاقتصادي المتدني في داخل البلاد قد جعل من السودان بلداً طارداً لكل شرائح المجتمع؛ إذ بدأت هجرة ذوي الكفاءات العالية والتخصصات المهمة، وقد وجدت هذه الكفاءات مكاناً لائقاً لها في كل بلدان العالم تقريباً خاصة في دول الخليج العربي؛ إذ كانت هذه العمالة ذات تعليم متميز وكفاءة عالية وتدريب طويل؛ مما جعلها مرغوبة بشكل كبير في دول الخليج العربي التي كانت تفتقر إلى مثل هذه الكفاءات العربية في تلك الفترة.

وقد تزامنت ظروف هذه الهجرة الطاردة مع ظروف دول الخليج الجاذبة للعمالة بعد اكتشاف البترول وتصديره في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات. وكانت منطقة الخليج في حاجة ماسة وسريعة للخبرات في كل المجالات للإسهام في عمليات التنمية الكبيرة التي نشطتها عائدات البترول الهائلة في المنطقة. وأصبحت هناك هجرة مكثفة بكل الطرق الرسمية وغير الرسمية. وقد عقدت الحكومة السودانية مع كثير من حكومات الخليج اتفاقيات تعاونية تهدف إلى إعارة موظفي الحكومة السودانية إلى تلك الدول لأوقات محددة، وكانت عقود العمل التي حصل عليها السودانيون في ذلك الوقت ذات عائد اقتصادي كبير مقارنة بالعائد المحلي. وشملت الهجرة مئات الألوف من خيرة العاملين من السودانيين. إلا أن الهجرة الآن أصبحت غير مضبوطة إلى حد كبير، وصار هدف كثير من السودانيين الخروج من البلاد.

وكان المأمول في بداية تلك الهجرات أنها سوف تكون مؤقتة تنتهي بزوال الأسباب التي أدت إلى طرد هؤلاء المهاجرين، أو تنتهي متى ما تمكن المهاجر من جمع مبالغ من المال تعينه على اقتناء منزل أو شراء سيارة أو تعليم الأبناء، أو ما شابه ذلك من احتياجات أسرته، ولم يكن ينظر إليها – على أية حال – على أنها هجرة طويلة لعشرات السنين أو هجرة نهائية. وقد ترك كثير منهم أسرهم في السودان وذهبوا لبلاد المهجر حتى يكون ذلك حافزاً لرجوعهم إليه بأسرع ما يكون. ولم يتحقق هذا الحلم لكثيرين منهم، إذ يعاني اليوم بعضهم في دول الخليج بروز ظاهرة الأسر الممتدة وما يتبعها من معاناة في السكن والإعاشة وغيرها.

ولكن العوامل الداخلية التي أدت إلى طرد هؤلاء المهاجرين لم تتغير، بل يعتقد كثير منهم أنها قد تكون زادت حدة. وأدى ذلك إلى أن يمد كثيرون إقامتهم في دول

المهجر في كل أنحاء العالم وخاصة في دول الخليج. وسعى كثيرون من الذين تركوا أسرهم في السودان لجلب أسرهم لديار المهجر، كما تزوجت أعداد كبيرة منهم وأتوا بزوجاتهم لدول المهجر انتظاراً لتحسن الأمور في السودان. ومرت السنوات وتكاثر فيها أعداد السودانيين في دول المهجر، وجاء جيل جديد (الجيل الثاني) من السودانيين الذين ولدوا في بلاد المهجر.

ونشأ الجيل الثاني وترعرع بعيداً عن السودان، وحاول بعض أولياء الأمور أن يربط هذا الجيل بوطنه السودان من خلال الزيارات المنتظمة في الإجازات السنوية. وقد نجح بعضهم في ذلك كما أخفق بعضهم الآخر لأسباب كثيرة ومتعددة. ويعد السبب الاقتصادي من أكثر الأسباب التي تحول دون التواصل الدائم بين المهاجر والوطن لربط الجيل الثاني بثقافة وطنه السودان؛ وذلك لتكلفة السفر العالية ذهاباً وإياباً والضرائب الباهظة التي تفرضها حكومة السودان. وقد أدى هذا الوضع إلى عدم تمكن أعداد كبيرة من المهاجرين السودانيين من إرسال أولادهم وبناتهم إلى السودان كل سنة أو حتى في فترات متقاربة بسبب هذه التكلفة المادية العالية. وبعد مرور أربعة عقود من الزمان أصبح الجيل الثاني للسودانيين في بلاد المهجر واقعاً ملموساً، له متطلباته وحقوقه الخاصة المتعددة. وعلى الرغم من مضي هذه الفترة الزمنية، فإن ظاهرة هجرة السودانيين لم تلق حتى الآن الاهتمام الكافي من قبل الباحثين والمهتمين بقضايا الهجرة من العلماء والكتاب السودانيين. لذلك فقد خلت المشروعات البحثية والدراسات الإمبريقية التي تتناول حالة المهاجرين وأوضاعهم مع ذويهم في مجتمعات النفط التي أقاموا فيها. وتعد هذه الدراسة عن الجيل الثاني للسودانيين في دول المهجر – الذي ظلت هويته وخصائصه وملامحه العامة ومدى ارتباطه بوطنه الأم مجهولة إلى حد كبيرة – من أوائل الدراسات في هذا المجال، ومن ثم فإنها تكتسب أهمية خاصة للمكتبة السودانية والباحثين عن قضايا الهجرة والمهاجرين، باتخاذها دور الريادة في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

ظهر في أدبيات الهجرة والمهاجرين في المنطقة العربية عدد قليل من الدراسات عن الجوانب الاقتصادية وأثر المهاجرين العرب في اقتصاديات بلادهم الطاردة والبلاد الجاذبة. كما أن هذه الدراسات التي أجريت عن ظاهرة الهجرة لدول النفط العربية قد خلت من الدراسات الإمبريقية التي تتناول حالة المهاجرين

وأوضاعهم مع ذويهم في مجتمعات النفط التي أقاموا فيها. وعند الحديث عن حالة المهاجرين، يمكن القول إن الدراسات تناولت المهاجرين والبلاد التي جاؤوا منها أكثر من البلاد التي أقاموا فيها. ولذلك لم يستطع الباحثان الحصول على أي دراسة عن الجيل الثاني للمهاجرين السودانيين. كما أن المكتبة العربية تفتقر إلى دراسات عن المهاجرين السودانيين، ومن ثم لم يتمكن الباحثان من إيجاد دراسات سابقة في هذا المجال، فقد تكون هذه أولى الدراسات للجيل الثاني للمهاجرين السودانيين. وعليه، فقد عرض الباحثان للدراسات التي تناولت قضايا المهاجرين في مناطق أخرى غير المنطقة العربية والإفريقية. ومن أوائل الدراسات التي تناولت هجرة السودانيين إلى أمريكا وكندا دراسة أبو شرف (Abusharaf, 1997). ركزت هذه الدراسة على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية للسودانيين في هذين البلدين؛ حيث أوضحت الدراسة أن أسباب الهجرة الرئيسة بالنسبة للسودانيين الشماليين ترجع إلى العوامل السياسية. أما بالنسبة للسودانيين الجنوبيين فترجع هجرتهم أساساً إلى أسباب الحرب الأهلية المزمنة التي دارت في الجزء الجنوبي من السودان. كذلك أظهرت الدراسة أن أغلب المهاجرين السودانيين هم من فئة الشباب (20–29)، كما أن نسبة الذكور من بين هؤلاء تفوق كثيراً نسبة الإناث. أظهرت دراسة جلال الدين (Galaleldin, 1988) أن الغالبية العظمى من السودانيين المهاجرين في دول الخليج هم من شرائح الأطباء، والمهندسين، وأساتذة الجامعات، والمدرسين، إضافة إلى قلة من العمالة غير الماهرة. وفي دراسة قام بها مركز الهجرة الأمريكي (United States Department of State, 1991) تبين أن هناك تدفقاً متواصلاً من المهاجرين السودانيين إبان حرب الخليج الثانية إلى كل من إيران وتركيا وسوريا والأردن. وتزامن ذلك مع بداية هجرة السودانيين إلى أمريكا الشمالية وأستراليا.

كما أجرى أدلتون (Addelton, 1991) دراسة تناولت أثر حرب الخليج على الهجرة وتحويلات المهاجرين النقدية في آسيا والشرق الأوسط. أظهرت هذه الدراسة أن غزو العراق للكويت مثل أسوأ سيناريو بالنسبة للمهاجرين؛ حيث هدد العلاقات المهنية والاجتماعية والاقتصادية التي نمت خلال العقد السابق للحرب. كما تسبب ذلك في تغير مسار موجات الهجرة بعيداً عن الخليج إلى الولايات المتحدة وكندا.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة كشف الغطاء عن الجيل الثاني من المهاجرين السودانيين في دولة الإمارات العربية المتحدة، وبالتحديد في مدينة العين، ومن ثم تعرف الملامح الاجتماعية والنفسية لهم؛ فقد كثرت الآراء حول هذا الجيل الذي ولد وترعرع وشب في دولة الإمارات العربية المتحدة. وتقتصر هذه الدراسة على عرض الملامح العامة لهذه الشريحة من المهاجرين السودانيين. ويأمل الباحثان أن تكون دراستهما فاتحة لدراسات قادمة في هذا المجال المهم. وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها الأولى من نوعها، وهي تتزامن مع بدايات الهجرة العكسية للمهاجرين السودانيين من بلاد المهجر إلى السودان، بعد أن أصبح السودان من الدول المنتجة والمصدرة للنفط؛ فقد ذكرت أدبيات التنمية أن نمو الاقتصاد السوداني يصل إلى أكثر من 10% في السنة، وبدأ هم كثير من الأسر السودانية يتركز في كيفية إقناع هذا الجيل الثاني بالرجوع إلى السودان. ويتعرض هذا الجيل لانتقادات كثيرة، أهمها أنه يجهل كثيراً من المعلومات عن الثقافة السودانية. وقد تستطيع هذه الدراسة أن تسهم في التعريف بهذا الجيل بصورة أكثر واقعية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الجيل الثاني من المهاجرين السودانيين في مدينة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل هناك هوية للجيل الثاني من المهاجرين السودانيين بالإمارات.
- هل الجيل الثاني للمهاجرين السودانيين بالإمارات مرتبط بوطنه الأم؟
- كيف يصف الجيل الثاني للمهاجرين السودانيين بالإمارات الأوضاع المعاصرة في السودان؟
- إلى أي مدى يرتبط الجيل الثاني للمهاجرين السودانيين بالجالية السودانية بالإمارات؟
- هل توجد علاقات صداقة بين جيل السودانيين الثاني وبين أقرانهم الإماراتيين؟
- ما مدى شعور الجيل الثاني بالغربة؟
- ما موقف الجيل الثاني من قضايا السودان الرئيسة؟

المفاهيم الأساسية للدراسة:

نعني بتعريف المفاهيم المستخدمة في هذا البحث نقل تعريف المفهوم المجرد (Abstract) إلى حالة أكثر إجرائية تفيد في فهم صياغ البحث العام. ومن ثم تحويل المفاهيم من حالة غير المحسوس إلى حالة مادية محسوسة يمكن قياسها. ومن أهم المفاهيم المستخدمة في هذا البحث مفهوم الارتباط" و"الهوية". وبحسب ما جاء في موسوعة ويكيبيديا (Wikipedia, 2007) فإن الارتباط يشير إلى مدى تعلق الفرد الوجداني بشخص أو مكان أو شيء ما. وأما الهوية فتستخدم للإشارة إلى الطريقة التي يصنف بها الأفراد ذواتهم تحت مظلة مجموعات بشرية بعينها (الطبقة الاجتماعية، الوطن، الهوية، الجنسية، إلخ...).

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على تداخل علم الاجتماع مع علم النفس (Interdisciplinary). وقد اختير المنهج المسحي الوصفي باعتباره المنهج الأكثر ملاءمة لتحقيق أهدافها والإجابة عن أسئلتها، لكونها دراسة غير مسبوقة من قبل.

عينة الدراسة:

اشترك في الدراسة الراهنة واحد وتسعون مبحوثاً، وقد استبعدت سبع استمارات لنقص بياناتها. حددت الدراسة عمر العينة بين خمسة عشر وثلاثين عاماً (15–30 عاماً)، باعتبار سن البلوغ هي خمسة عشر عاماً، كما أن هجرة المواطن السوداني قد بدأت بكثافة في منتصف العقد السابع من القرن الماضي تقريباً، وذلك يعني أن الذين ولدوا بعد الهجرة قد يقعون بين هذين العمرين (15–30 عاماً). وقد واجه الباحثان معضلة اختيار عينة الدراسة؛ وذلك لأن مجتمع العينة غير محصور في مكان واحد بمدينة العين، وهذا يخلق صعوبة الوصول إلى كل أفراد العينة. وبدأ الباحثان بطلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين، حيث يؤمها معظم الأشخاص الذين تنطبق عليهم شروط العينة. ومن ثم فقد حصر كل الطلاب السودانيين بجامعة الإمارات العربية المتحدة، واختير البقية الباقية عن طريق العينة المقصودة، حيث استخدم الباحثان طريقة الكرة الثلجية (snowball). وتزيد أعداد الذكور عن الإناث، حيث بلغت نسبة الذكور نحو (70%)، في حين كانت نسبة الإناث نحو (30%). أما ما يختص بمكان الميلاد فقد ولد أكثر من النصف (53%) في دولة

الإمارات، و نحو (37%) بالسودان، ونحو (10%) في أماكن متفرقة من العالم العربي والغربي.

أداة الدراسة وإجراءاتها:

صممت استبانة خاصة للإيفاء بأغراض هذه الدراسة، ومن ثم، فقد تكونت من أربعة محاور تقيس المعلومات الأولية، والارتباط بالسودان، والارتباط بدولة الإمارات، والرضا عن السودان. ووفقاً لطبيعة الدراسة الاستطلاعية فقد استخدم صدق المحكمين. وقد وزعت الاستبانة على 12 أستاذاً سودانياً بمختلف كليات جامعة الإمارات العربية لتحكيمها. واشتملت النسخة النهائية للاستبانة على العبارات التي أجمع عليها المحكمون وعدلت أو حذفت تلك التي لم تلق إقبالاً كبيراً بناء على توصياتهم. ومن ثم، قام فريق البحث المكون من أربعة طلاب من جامعة الإمارات العربية المتحدة – بعد تدريبهم على أسلوب المقابلة وكيفية جمع البيانات – بمقابلة أفراد العينة وجمع المعلومات، وقد اطمأن المبحوثون إلى سرية المعلومات وعدم استخدامها في أغراض غير أغراض البحث، كما جاء في الخطاب المرفق.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

الخصائص الاجتماعية العامة:

تلقى معظم أفراد عينة الدراسة، نحو (73%)، تعليمهم الأولي بدولة الإمارات، ونحو (19%) بالسودان، والبقية في أماكن متفرقة من العالم، وبالمقارنة مع نتيجة مكان الميلاد يتضح أن هناك نسبة لا تقل عن (20%) من العينة لم تولد في الإمارات، ولكنهم أتوا إليها في سن مبكرة قبل بداية المرحلة الابتدائية أو معها. بلغت نسبة الذين تلقوا تعليمهم الثانوي في دولة الإمارات نحو (81%)، ونحو (18%) في السودان. وتوضح هذه النتيجة مع النتيجة السابقة (مكان المولد) أن الغالبية الساحقة من العينة قد قضت فترة الطفولة والمرحلة الشبابية الأولى من عمرها بدولة الإمارات. فمن ناحية قد يتسبب ذلك في البعد الوجداني بالإضافة للبعد الجغرافي من موطن آبائهم. ومن ناحية أخرى قد يؤدي هذا العامل إلى زيادة الارتباط الوجداني بدولة المولد والنشأة. وتؤكد نتيجة هذه الدراسة أن نحو (54%)؛ أي أكثر من النصف، قد قضوا حياتهم منذ الولادة بدولة الإمارات، وأن نحو (18%) منهم قضى بالإمارات بين ست إلى عشر سنوات، وأن نحو (7%) قد قضى ما بين

إحدى عشرة و خمس عشرة سنة بها، وأن نحو (10%) عاش بها ست عشرة سنة أو أكثر.

توضح نتيجة هذه الدراسة تفاوت متوسط دخول آباء العينة الشهري؛ إذ يوجد نحو نصف الآباء (48%) تراوح دخولهم بين 8 آلاف و 11 ألف درهم إماراتي، وتساوت أعداد الآباء الذين يحققون بين 4 و 7 آلاف درهم، والذين تزيد مرتباتهم الشهرية على أحد عشر ألف درهم إماراتي، (12%) لكل مجموعة. ولا يدري نحو (23%) من العينة أو لم يريدوا توضيح دخول والديهم. وتدل هذه النتيجة أن غالبية أسر أفراد العينة من الطبقة الوسطى وأن آباءهم ذوو وظائف مهنية عالية، كما أن الشريحة الأخرى من الآباء يقعون تحت تصنيف الفنيين والعمال المهرة. وعليه، يمكن أن يتوقع لهذه الأسر نوع من الاستقرار الاقتصادي الذي يعد من العوامل المهمة التي تزيد من استقرار الأسر الاجتماعي. وبالطبع، فإن استقرار الأسر يؤدي إلى استقرار أفراد العينة ونجاحهم الأكاديمي كذلك، مع اعتبار أن هناك نحو (80%) من العينة يعيشون مع والديهم في الإمارات. وتؤكد نتيجة هذه الدراسة أيضاً أن أكثر من نصف الطلاب كان متوسط معدلهم التراكمي بين 2,50 و 4,00 نقاط.

الارتباط بالسودان (الوطن الأم):

وجه سؤال مباشر لأفراد العينة، (هل عشت في السودان؟)، فجاءت إجابتهم على النحو التالي: أجاب أكثر من نصف العينة، نحو (58%) منهم لا، وأجاب نحو(42%) نعم. يوجد نحو (10%) لم يزوروا السودان بتاتاً منذ ولادتهم، ونحو (17%) يزورون السودان نادراً، ونحو (43%) يزورون السودان بشكل متقطع، ونحو (31%) منهم بشكل شبه منتظم. كما تدل هذه النتائج على أن صلة بعض المبحوثين (10%) بالسودان منقطة، مما قد يفسر عدم إلمامهم بتاريخ السودان ومناطقه المختلفة والاهتمام بقضاياه الوطنية.

وسئل أفراد العينة عن شعورهم عندما يزورون السودان، هل يحسون بأي نوع من الغربة؟ فكانت إجابة نحو (44%) أنهم لا يشعرون بأي نوع من الغربة، في حين أن هناك أكثر من نصفهم؛ أي نحو (56%) يشعرون بالغربة إما دائماً أو قليلاً أو نادراً. ويعد هذا أمراً خطيراً قد يكون مؤشراً إلى الانفصال النفسي الوجداني عن الوطن الأم.

ويوجد نحو (11%) من أفراد العينة لا يشاهدون البرامج التلفزيونية السودانية البتة. ويتابع نحو (89%) منهم البرامج التلفزيونية السودانية بصورة نادرة (26%)، أو متقطعة (44،%)، أو بانتظام (19%). وقد أجاب نحو (1%) منهم أن أحب القنوات إليه هي القنوات الإماراتية، والقنوات السودانية نحو (24%)، ثم تأتي القنوات العربية الأخرى نحو (22%)، أما القنوات الأجنبية فنحو (52%). كما يتابع نحو (55%) من أفراد العينة الصحف السودانية اليومية إما بشكل نادر (29%)، أو بشكل متقطع (21%)، أو منتظم (5%)، في حين أن نحو (45%) لا يتابعها البتة. وسئل أفراد العينة إن كانت لديهم نية للعمل بالسودان. فكانت إجابة نحو (12%) فقط منهم أنهم متأكدون من أنهم سيعملون في السودان، ونحو (42%) منهم لا يدرون، و(31%) منهم غير متأكدين، ونحو (16%) ليست لديهم نية العمل بالسودان مستقبلاً.

وسئل أفراد العينة إن كانت لهم صداقات داخل السودان، فكانت استجابة الغالبية منهم (91%) أن لديهم صداقات. وكانت نسبة الذين لديهم صداقات كثيرة نحو (65%)، وقليل من الصداقات (25%)، والذين لا صداقات لهم بالسودان نحو (10%). وجه السؤال: "كيف تصف علاقتك بأهلك في السودان؟" لأفراد العينة لمعرفة مدى قوة رابطة القرابة مع أهاليهم في السودان، فظهر أن (98%) من أفراد العينة لهم علاقات مع أهاليهم في السودان. ومن الذين لهم علاقات فقد راوحت نسبهم بين نحو (76%) للعلاقات القوية، ونحو (21%) للعلاقات الضعيفة، وقد أجاب نحو (2%) أنه لا توجد أي علاقات مع أهاليهم في السودان. وعليه يمكن وصف ارتباط هذا الجيل بالسودان بأنه لم تتح لغالبية أفراد العينة فرصة العيش في السودان لفترة كافية، إلا أن عدداً كبيراً منهم قام بزيارته مرة واحدة على الأقل ولفترات متفاوتة. وقد يرجع إحساس أفراد هذه العينة من هذا الجيل بالغربة عند زيارتهم للسودان إلى انقطاعهم عنه لفترة طويلة أوعدم زيارتهم له إلا مرة واحدة أو نادراً مما لا يمكن من تكوين روابط اجتماعية قوية أو يؤدي في أحسن تقدير إلى تكوين روابط ضعيفة. وعلى الرغم من ذلك يبدو أن هناك عاملاً نفسياً يدفع كثيرين من هذا الجيل إلى التعلق بالسودان وجدانياً بدرجة كبيرة، وقد اتضح ذلك جلياً في حرص نسبة كبيرة منهم على مشاهدة القنوات الفضائية السودانية ومتابعة الصحف السودانية إلى حد ما، إضافة إلى حرصهم على استمرار العلاقة بينهم وبين أهلهم وأصدقائهم هنا في المهجر وهناك في السودان.

الشعور بالانتماء للسودان:

هل يفخر المبحوثون بسودانيتهم؟ يوجد نحو (6%) من المبحوثين إما أنهم لا يفخرون أو لا يدرون، في حين أن نحو (94%) منهم يشعرون بالفخر والإعزاز بسودانيتهم. ويبدي نحو (69%) من المبحوثين استعدادهم للتضحية من أجل السودان، وأن نحو (31%) منهم لم يبد مثل هذه الرغبة، إما أنه لا استعداد له، نحو (10%) منهم، أو لأنه لا يدري، نحو (21%). ويلاحظ أن نسبة استعداد الذكور للتضحية بحياتهم من أجل السودان، نحو (76%)، أكبر من نسبة الإناث (52%). ويرى نحو (91%) من المبحوثين أن السودان يشكل أهمية في حياتهم، وأجاب نحو (9%) بأن السودان ليست لديه أية أهمية في حياتهم.

وقد طرحنا السؤال "هل لديك الاستعداد للزواج بغير سودانية/سوداني على المبحوثين. فكانت إجابات نحو الثلث (35%) بالإيجاب، في حين أجاب نحو (63%) بالنفي القاطع، ونحو (2%) لا يدرون. ويمكن القول إن الذكور أكثر استعداداً للزواج بغير السودانيات من الإناث، حيث أجاب نحو (41%) من الذكور باستعدادهم للزواج بغير السودانيات، وأجاب (37%) منهم بعدم الاستعداد، في حين أبدت (16%) فقط من الإناث استعدادهن لذلك مقابل (70%) أبدين عدم استعدادهن. وفيما يتعلق بالتمسك بارتداء الزي السوداني (الجلابية والعمامة والمركوب للرجال، والثوب للنساء) فقد أظهر نحو (83%) من أفراد العينة تمسكهم به، وأظهر نحو (17%) عدم تمسكهم. ومن بين الذين أجابوا "نعم" بلغت نسبة الذين يرتدون الزي السوداني كثيراً نحو (19%)، ونسبة الذين يرتدونه قليلاً نحو (39%) بينما نجد أن ربع أفراد العينة (25%) يرتدونه نادراً. ويرتدي نحو الثلث (33%) من المبحوثين الزي الإماراتي إما قليلاً أو نادراً، ونحو (67%) لا يرتدونه. ويلاحظ أن الذكور أكثر تمسكاً بالزي السوداني، نحو (93%)، من الإناث، نحو (60%). وتعد غالبية أفراد العينة، نحو (67%،) أن الزي السوداني يمثل رمزاً للهوية السودانية. وظهر أن معرفة نحو (34%) من أفراد العينة بتاريخ السودان ضعيفة، ومعرفة نحو النصف (49%) متوسطة، إلا أن معرفة نحو (17%) منهم بتاريخ السودان جيدة. وعلى الرغم من ذلك فإن نحو (64%) من أفراد العينة أجابوا أنهم لا يدرون شيئاً عن مختلف مناطق السودان، ونحو (36%) لهم دراية (انظر جدول 1).

جدول (1)
الشعور بالانتماء للسودان

	نعم %	لا %	لا أدري %
هل تشعر بالفخر بالانتماء للسودان؟	94	6	–
هل تضحي بالروح من أجل السودان؟	69	31	–
هل للسودان أهمية في حياتك؟	91	9	–
هل تنوي الزواج بغير السوداني/نية	49	33	18
هل ترتدي الزي السوداني؟	83	17	–
هل تدري بمناطق السودان؟	36	62	–
هل تعرف تاريخ السودان؟	83 بشكل جيد	17 بشكل ضعيف	–

ونخلص من هذه النتائج عن قوة الشعور بالانتماء للسودان إلى أن معظم أبناء هذا الجيل (ممثلاً في أفراد العينة) يفتخرون بانتمائهم للسودان ويعتبرونه مهماً في حياتهم. وقد انعكس ذلك في حرص الأكثرية على ارتداء الزي السوداني في أوقات متفرقة واهتمامهم بتاريخ السودان. لكن قوة الشعور بالانتماء هذه لم تكن دافعاً لثلث أفراد العينة لإبداء الاستعداد للتضحية بأرواحهم من أجل السودان، وقد يرجع ذلك إلى عدم رضائهم بما يحدث في السودان أو إلى سطحية الانتماء. ويعد اعتبار 9% منهم أن السودان ليس مهماً في حياتهم مؤشراً خطيراً يستوجب التدخل من الجهات المعنية وربما إعادة النظر في السياسات المتبعة تجاه المغتربين. وفيما يتعلق بتحديد جنسية شريكة (أو شريك) الحياة المرتقبة فإنه يبدو أن هذا الجيل قد تأثر بدرجة كبيرة بالبيئة الإماراتية متعددة الثقافات والجنسيات؛ حيث أظهر نحو ثلثهم استعداده للزواج بغير سودانية/ سوداني.

الرضا عن الحياة في السودان:

سُئل أفراد العينة عن رأيهم في الحياة في السودان، فكانت إجابة أكثر من النصف منهم (52%) أن الحياة في السودان صعبة، وأن نحو (39%) منهم يرون أنها متوسطة الصعوبة، وأن نحو (2%) منهم يرون أنها سهلة، وهناك نحو (6%) منهم لا يدرون. وأكد نحو نصف المبحوثين (49%) قلقهم وعدم اطمئنانهم على مستقبل السودان السياسي، وأن نحو (31%) منهم مطمئن على ذلك، في حين هناك نحو (20%) منهم لا يدرون. وقد يرجع عدم الاطمئنان على مستقبل السودان

السياسي إلى اعتقاد المبحوثين في عدم قدرة الأحزاب السودانية الحالية على النهوض بالبلاد؛ حيث أظهر (17%) منهم فقط ثقتهم في الأحزاب بينما أكد (50%) بشكل قاطع أن الأحزاب عاجزة تماماً، وأظهر (33%) ترددهم. كما قد يرجع عدم الاطمئنان على مستقبل السودان السياسي إلى اعتقاد غالبية أفراد العينة (63%) بأن المواطن السوداني محروم الآن من المشاركة السياسية، في حين يعتقد نحو (35%) منهم بوجود فرصة للمواطن في المشاركة. ومن ناحية أخرى قد تساوت تقريباً نسبة الذين يعتقدون أن الإنسان السوداني يحس بقيمة المواطنة في بلاده (51%) ونسبة الذين لا يعتقدون أنه يحس بقيمة المواطنة (48%) (انظر جدول 2).

جدول (2)
الرضا عن الحياة في السودان

	نعم %	لا%	لا أدري %
هل تقلق على مستقبل السودان السياسي؟	49	31	20
هل للمواطن الحق في المشاركة السياسية؟	35	63	2
هل هناك مساواة بين المواطنين في السودان؟	20	58	20
هل تقلق على مستقبل السودان الاقتصادي؟	16	22	63
هل يمكنك التكيف مع الحياة الاقتصادية؟	36	31	32

كما يرى أكثرهم (63%) أن مستقبل السودان الاقتصادي غير واضح، ويرى نحو (16%) منهم أنه غير مطمئن، في حين أبدى (22%) منهم اطمئنانهم على مستقبل السودان الاقتصادي. وقد تساوت النسب لحد ما عندما استجابت مجموعة المبحوثين إلى السؤال عن مقدرتهم على التكيف مع الحياة الاقتصادية في السودان. فأجاب نحو (36%) أنهم قد يستطيعون التكيف معها، وأجاب نحو (31%) بأنهم لا يستطيعون التكيف، في حين أجاب نحو الثلث (32%) بأنهم لا يدرون. وعن السؤال عن مدى جاذبية الحياة في السودان، أجاب نحو النصف منهم (51%) أن الحياة في السودان إما جاذبة للرجوع إليه أو جاذبة نوعاً ما، في حين يرى نحو الربع (25%) من أفراد العينة أن الحياة في السودان طاردة، وأن نحو الربع لا يدرون. وقد يعزى هذا الطرد إلى أن الغالبية منهم (58%) يرون أنه لا توجد مساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، وأن (20%) فقط يرون أن هناك مساواة ونحو (20%) لا يدرون. ويعضد هذا المنحى اعتقاد واحد في المائة فقط (1%) من أفراد العينة

بوجود فرص عمل عادلة في السودان، في حين يرى (46%) أن فرص العمل غير عادلة، ويعتقد (30%) منهم أنها قد تكون عادلة نوعاً ما، في حين أظهر (23%) عدم درايتهم بذلك.

وبناء على هذه النتائج يمكن القول، فيما يختص برضا أفراد العينة عن الحياة في السودان، إنه على الرغم من ارتباط عدد كبير من أفراد العينة بالسودان فإنهم قلقون جداً على مستقبل السودان السياسي؛ وذلك لإيمانهم بعجز الأحزاب السودانية الموجودة في الساحة على النهوض بالبلاد، ونتيجة لحرمان المواطن من حقه في المشاركة السياسية، إضافة إلى عدم وجود مساواة بين المواطنين. وقد يكون هذا القلق السياسي قلقاً موضوعياً مبرراً؛ وذلك لما يعصف بالبلاد من صراعات مسلحة وعدم استقرار سياسي. من ناحية أخرى فإن قلق هذا الجيل، المتمثل في أفراد العينة، على مستقبل السودان الاقتصادي يبدو أقل حدة من قلقهم السياسي على الرغم من اعتقادهم بصعوبة الحياة في السودان وعدم تأكدهم من قدرتهم على التكيف مع الظروف الاقتصادية فيه.

هوية الإنسان السوداني ووحدة التراب:

طلب من المبحوثين إبداء الرأي فيما يتعلق بهوية أهل السودان، أهم عرب أم أفارقة أم سودانيون أم شيء آخر؟ فأجاب أكثر من نصفهم (56%) أن هويتهم هي السودانية، واختار نحو (24%) منهم أنها إفريقية، في حين يرى (20%) منهم أنها عربية. وانسجاماً مع هذا الرأي في الهوية السودانية فقد أبدى أكثر من ثلاثة أرباع المبحوثين (78%) تمسكهم بوحدة التراب السوداني رافضين انفصال الجنوب عن الشمال، في حين أبدى نحو (17%) تحمسهم للانفصال، ولم يحدد نحو (5%) موقفهم من هذه القضية الوطنية المهمة.

الارتباط بدولة الإمارات (بلد المهجر):

وجّه سؤال يتعلق بصداقات أفراد العينة مع أبناء الجالية السودانية بدولة الإمارات في إطار محاولة الباحثين قياس مدى الترابط بين أفراد العينة وأفراد الجالية السودانية. فكانت النتيجة: أن الغالبية الساحقة نحو (99%) منهم لهم صداقات سودانية بالإمارات. ويوجد نحو (1%) ليست لديهم أي صداقات سودانية. وأجاب جميعهم أن هناك زيارات منزلية بينهم وبين أصدقائهم السودانيين؛ مما يؤكد وجود العلاقة بالجالية، ويؤكد متانتها أيضاً. كما أجاب أكثر من ثلاثة أرباع أفراد

العينة (79%) بأن أقرب أصدقائهم من السودانيين في بلاد المهجر، ونحو (8%) لهم صداقات مع أبناء الإمارات، ونحو (13%) منهم له صداقات مع أبناء دول عربية أخرى. وأجاب نحو (17%) بأنه ليست لديهم صداقات مع أبناء الإمارات ونحو (83%) منهم لهم صداقات. من بين الذين أجابوا بأن لديهم صداقات مع أبناء الإمارات، يوجد نحو (20%) كثيراً ما يزورون أصدقاءهم الإماراتيين في منازلهم، وقليلاً نحو (30%)، ونادراً نحو (17%). وعندما سئل المبحوثون الجامعيون: هل هم أعضاء في مجموعة الطلاب السودانيين بجامعة الإمارات؟ أجاب نحو (99%) منهم أنهم أعضاء في تلك المجموعة، وقد تعددت نشاطاتهم فيها من أعضاء في اللجان التنفيذية والعضوية العادية.

الرضا والشعور بالغربة بالإمارات:

فيما يتعلق بمدى رضا أفراد العينة عن وجودهم بالإمارات، أظهرت إجابات أكثر من النصف (55%) أنهم راضون عن وجودهم، ونحو (37%) منهم إلى حد ما، ونحو (5%) غير راضين، والبقية لا يدرون. وعندما سئلوا عن مدى قبولهم العيش بصفة دائمة بالإمارات، أجاب نحو (44%) منهم أنهم يقبلون، في حين رفض الثلث تقريباً (30%) فكرة العيش الدائم بدولة الإمارات، وهناك نحو (26%) منهم لا يدرون. وقد أظهرت الغالبية العظمى من أفراد العينة أنها تزور منازل أصدقائها من الإماراتيين بدرجات متفاوتة (جدول 3).

جدول (3)
الشعور بالرضا عن دولة الإمارات

السؤال	نعم %	لا %	حد ما	لا أدري
هل أنت راض عن وجودك بالإمارات؟	55	05	37	3
لو أتيحت لك الفرصة للعيش الدائم في الإمارات هل تقبل؟	44	30	—	26
هل تحس بالغربة في دولة الإمارات؟	60	40	—	—
هل تزور أصدقاءك الإماراتيين في منازلهم؟	19 كثيراً	17	29 قليلاً	32 نادراً
لو خيرت بين المعيشة في السودان والإمارات، فأيهما تفضل؟	38 الإمارات	36 السودان	—	25
لو خيرت بين المعيشة في السودان والإمارات والدول الغربية (أمريكا) فأيها تفضل؟	25 الإمارات	20 السودان	—	32 دول غربية

وطلب من المبحوثين أن يختاروا الأفضل للمعيشة بين السودان ودولة الإمارات، فكان خيار نحو (38%) منهم لدولة الإمارات، واختار نحو (36%) منهم السودان، في حين أن ربع المبحوثين (25%) لا يدرون أياً من القطرين يختارون. وعندما سئل المبحوثون عن المكان الأفضل لمعيشتهم، السودان أو الإمارات أو الدول الغربية؟ كانت إجابة نحو (32%) منهم أن الغرب هو الأفضل، تليه الإمارات (25%)، ثم أخيراً السودان نحو خمس المبحوثين (20%) تقريباً، وأن نحو (21%) منهم لا يدرون. ويشعر نحو (60%) منهم بالغربة في دولة الإمارات، في حين لا يشعر بها نحو (40%). ومن بين الذين يحسون بالغربة (10%) يحس بها دائماً، والنسبة نفسها تحس بذلك نادراً، و(40%) يلازمهم هذا الشعور قليلاً. ويلاحظ أن نسبة الذين ولدوا في السودان يعانون الشعور بالغربة في دولة الإمارات بمختلف مستوياتها (68%) أكثر من الذين ولدوا في دولة الإمارات (58%)، والدول الأخرى (50%).

وسئل المبحوثون عن مدى مشاركاتهم وعلاقاتهم بالنادي السوداني الاجتماعي بالعين، فأجاب أكثر من ثلثي المبحوثين (69%) أنهم يشاركون في نشاطات النادي، إلا أن نوع النشاط قد اختلف من المشاركة المنتظمة (12%)، والمشاركة المتقطعة (37%) إلى المشاركة النادرة (19%). وأجاب نحو الثلث (31%) بأنهم لا يشاركون في نشاطات النادي. وقد عزا نحو (8%) منهم ذلك إلى عدم وجود خدمات جاذبة للشباب، وقد أكدت مجموعة كبيرة (91%) من المبحوثين أنهم يشاركون في نشاطات النادي على الرغم من أن تلك النشاطات قد يراها بعضهم (33%) بأنها دون المستوى، وتراها مجموعة أخرى، نحو (38%) أنها متوسطة المستوى، وهناك من المبحوثين نحو (16%) يرى أن خدمات النادي تعد من الخدمات الجيدة.

ولمعرفة اتجاهات أفراد العينة نحو السفارة السودانية بأبوظبي تم توجيه مجموعة من الأسئلة إليهم حول علاقاتهم بالسفارة، فأجاب أكثر من ثلاثة أرباع المبحوثين (76%) أنه لا توجد لهم أي علاقة بالسفارة السودانية، وأجاب نحو (24%) فقط بأن لهم علاقة ما بالسفارة. وعلى الرغم من ذلك يرى (57%) منهم وجود دور للسفارة في حياة أفراد الجالية السودانية بالإمارات، في حين أن نحو (43%) منهم لا يشعر بأي وجود للسفارة السودانية في حياة المهاجر السوداني بالإمارات. وحول دور السفارة السودانية أظهر نحو (45%) من المبحوثين أنهم لا

يدرون إذا ما كانت السفارة السودانية بأبوظبي تؤدي دورها المطلوب منها تجاه المهاجرين السودانيين بالإمارات أم لا. وأظهر نحو (18%) منهم أنهم لا يعتقدون أن السفارة تقوم بدورها تجاه أبناء الجالية السودانية. ويرى نحو (37%) من المبحوثين أن السفارة تقوم بدورها تجاه رعاياها.

الخاتمة:

يلاحظ أن غالبية أفراد الجيل الثاني للسودانيين بدولة الإمارات قد ولدوا في بلاد المهجر، ويعتقد هذا الجيل أن أنسب هوية للسودان هي السودانية تليها الإفريقية، ثم العربية. وربما يشير ذلك إلى أن هوية السودان لم تتبلور بعد وسط هذا الجيل. والمعروف أن جدل الهوية السودانية ما زال قائماً بين أبناء السودان بشكل عام. إلا أننا يمكن أن نخلص إلى أن ارتباط هذا الجيل بالسودان ضعيف نسبياً حيث نجد أن الذين يزورون السودان بانتظام أو يفضلون مشاهدة القناة السودانية أو يتعاملون مع الوسائط الإعلامية السودانية الأخرى ويلبسون الزي السوداني هم قلة نسبياً، كما أن نحو 12% منهم فقط ينوون العمل بالسودان. بالإضافة إلى أن غالبية المستجيبين يعتقدون بعدم وجود مساواة في المواطنة أو في فرص العمل. ويتضح أيضاً أن الأحزاب السياسية في السودان لا تحظى بثقة المبحوثين من حيث قدرتها على النهوض بالبلاد، كما أنهم يعتقدون أن المواطن لا يحظى بفرصة المشاركة السياسية، وأن الوضع الاقتصادي والسياسي غير مطمئن؛ مما قد تعد عوامل لعزوف الشباب عن السودان. غير أن السواد الأعظم منهم متمسك بوحدة السودان.

ويلاحظ على هذا الجيل أن علاقته بالمهاجرين السودانيين في دولة الإمارات قوية. وعلى الرغم من وجودهم الطويل أو ولادتهم بدولة الإمارات فإن غالبيتهم يشعر بالغربة؛ مما قد يشير إلى نزعتهم نحو نوع من التقوقع في داخل الجالية السودانية بقدر كبير. غير أن هذه العلاقة نفسها قد تكون محدودة أو متقطعة. ومن هنا فإنه قد يكون من الأهمية بمكان التفكير في برامج جادة وجاذبة ووسائل تجمع الجالية السودانية وتربطهم بعضهم ببعض. فقد يكون من الأنسب أن تتولى الدولة عن طريق السفارات هذا الدور في ربط هذا الجيل بوطنه السودان من خلال خلق البرامج الموجهة وتنظيم فعاليات ورحلات تعريفية بالسودان وخلق أجواء تشعر

الشباب بعدالة توزيع الفرص والمساواة في التعامل الرسمي؛ مما يسهم في بعث روح الانتماء للوطن.

وينادي الباحثان بالمزيد من الدراسات المتعمقة في هذا المجال؛ وذلك لخلو المكتبة العربية وخاصة السودانية من هذا النوع من الدراسات المهمة التي تساعد القائمين بأمر المهاجرين في داخل السودان وخارجه على التخطيط السليم الذي يسهم في إثراء حياة المهاجرين الذين أدوا دوراً اقتصادياً مهماً في فترة التسعينيات عندما تعرض السودان لتدهور اقتصادي كبير بسبب العقوبات الدولية التي فرضت عليه، مثل هذه الدراسات تساعد الدولة أيضاً في تخطيط عودة المهاجرين ذوي الكفاءات العالية وأسرهم للإسهام في نهضة البلاد المأمولة أن تكون في المستقبل القريب، وهو ما تشير إليه التغيرات الاقتصادية المشجعة التي يمر بها السودان حالياً.

المراجع:

جامعة الإمارات العربية المتحدة، (2004). **مجتمع الإمارات**. (ط2)، العين: مطبعة جامعة الإمارات العربية المتحدة.

سالم جبران (2006). **المهاجرون العرب إلى الغرب: غيتوات مغلقة.. أم شركاء في المجتمع؟.** شركة الإنترنيت للإعلام العربي.
http://www.amin.org/look/amin/article.tp1?Idlanguage=17&IdPublication=7&NrArticle=37706&NrIssue=1&NrSection=2(March 21, 2007)

نادر فرجاني، (1983). **الهجرة إلى النفط**. لبنان: بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

Abusharaf, R. M. (1997). Sudanese migration to the New World: socio-economic-characteristics. *International Migration*, 35 (4): 513-536.

Addelton, J. (1991). The impact of the Gulf War on migration and remittances in Asia and the Middle East. *International Migration*, 29 (4): 509-527.

Camarota, S (2002). Immigrants from the Middle East, Center for Immigration Studies, Washington DC, (<http://www.cis.org/articles/2002/back902.html>), March 17, 2007.

Cochrance, R. (1983). *The social creation of mental illness*. London: Longman.

Fisher, S. (1990). The Psychological effects of leaving home: Homesickness, Health and obsessional thoughts. In S. Fisher & C.L. Cooper (Eds.) *On the move: The psychology of change and transition*. London: John Wiley & Sons LtD.

Fisher, S. (1989). *Homesickness, cognition and health*. London: Lawrence Erbaum Associates.

Galaleldin, M. (1988). Sudanese migration to oil-producing countries. In N. O'Neill and J. O'Brien (Eds), *Economy and class in the Sudan*. New York: Gower Publishing Company.

Golombok, S. (2004). Solo mothers: Quality of parenting and child development. *International Congress Series*, 1266 : 256-263.

Seccombe, I. Jan (1985). International labor migration in the Middle East: A review of literature and research, 1974-1984. *International Migration Review* <http://www.jstor.org/browse/01979183>, 19 (2 <http://www.jstor.org/browse/01979183/di009746>), 335-352.

United Nations. (2006). United Nations General Assembly. International migration and development, Report of the Secretary-General, <http://en.wikipedia.org/wiki/Migrant>, May 18, 2006.

United States Department of State. (1991). Displaced persons in the Middle East: Fact Sheet. United States Department of State Dispatch 2: 199.

Wikipedia (2007) <http://en.wikipedia.org/wiki/Identity> (September 15, 2007).

قدم في: يونيو 2007

أجيز في: نوفمبر 2007

The Second Generation of Sudanese Expatriates in the U.A.E: Home Attachment in the Host Culture: An Exploratory Study

Musa Shallal[*]
Abdallah Hamid[**]

This interdisciplinary research sheds some light on the second generation of Sudanese expatriates. It focuses on their identity, sense of belonging, and their attitudes towards different aspects of life in Sudan. A sample of 84 young Sudanese expatriates participated in this study (aged between 15-30 years). 70% of the respondents were male and 30% female. A questionnaire especially designed for the purpose of this study was used. The results, in general, show that this generation has a high level of sense of belonging to Sudan, and they are proud to be Sudanese. The results also reflect that the respondents are less worried about their country's economic situation compared to their worries about the political situation. They further believe that the current Sudanese political parties are incapable of solving the country's political dilemmas. Further research in this area is recommended

Keywords: Second generation, Migration, Sense of belonging, Alienation, Identity, Citizenship.

* Department of Sociology, United Arab Emirates university, United Arab Emirates.
** Department of Psychology, United Arab Emirates University, United Arab Emirates.